المطلّقة في منطقة شبه الظل

يقول (عز وجل) في سورة الطلاق:

﴿ لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا ﴾ [الطلاق: ٧].

لا تنتهي العلاقة الزوجية بالضربة القاضية!.. وإلا كان المطلِّق كما يقول الفلاحون الطيبون:

«عدو ، ينتظر نائبة» بمعنى أنه يتربص بغريمه المصائب!

●●●

ولكن الإسلام:

ومن خلال هذه الآيات الكريمة .. يشير إلى إن للعلاقة جذوراً ضاربة في الأرض.. لا تقتلع هكذا وفي لحظة طارئة..

ومن أجل ذلك.. لا تكلّف المطلقة بالخروج فوركلمة الطلاق غير مأسوف عليها: من الظل الظليل.. إلى وهج الظهيرة..

وإنما تبقى .. وفي بيتها.. مكفولة الرزق.. موفورة الكرامة..

إعلامًا بأن الأمر ليس شركة تجارية تنفض في لحظة واحدة:

وإنما هي عزة الإنسان.. التي هي فوق انفعالاتنا .. ونزواتنا..

وعلى كل الأطراف المعنية أن تتوقف.. ثم تراجعَ نفسها فلعل الله (تعالى) أن يجعل.. بعد يسر يسرا..

وإذا توترت الأعصاب يومًا.. بوسوسة الشيطان المريد..

فلنفسح من بيوتنا وقلوبنا.. لرفاق الأمس.. فلعل الله يحدث بعد ذلك أمرا.

وتوكيدًا لهذا المعنى: أُمر المطلِّقون بالإبقاء على المطلقة في بيتها حتى تنتهي عدتها..

ولكي تظل في البيت مصونة.. يجب عليه أن ينفق عليها.. صيانة لها من التبذل في طلب لقمة العيش.. وفرارًا بها من القيل والقال..

لو أنها مشت في الأسواق.. وما يثيره من شبهات.. وتقولات..

قد تسد طريق العودة إلى زوجها .. تارة أخرى.

●●●

ومضيًا مع حكمة الإسلام في أن: لا ضرر ولا ضرار.. فإن المطلق مأمور بهذا الإنفاق.. على قدر طاقته:

فلينفق ﴿.. مِن سَعَتِهِ..﴾:

على قدر إمكاناته المتاحة..

لا تسرق.. لتوفر لها لقمةالعيش.. ولا ترهق نفسك بالعبور إلى ما وراء حدود مملكتك المتواضعة.. خارج «سعتك» فليس من الإنصاف أن نريح طرفًا على حساب غيره..

وإذ يحرص الإسلام على الترفق بالمطلق فليس ذلك انحيازًا له.

وإنما كل ذلك مقصود به إتاحة فرصة العودة بمثل هذا التيسير الذي يتيح للنفوس فرصة المراجعة.. في جو نظيف.

●●●

ثم إن ما تؤمر بإنفاقه ليس مالك.. وإنما أنت حارس.. خازن أمين.. وصاحب المال (سبحانه) هو الذي يأمرك بالإنفاق من ماله (عز وجل)..

ثم هو (عز وجل) لا يأمرك بإلقائه في البحر.. أو تذريته في الجو..

وإنما يتلطف بك لتنفقه على الصاحب بالجنب.. وفاء للعشرة..

●●●

ومما يحملك على الإنفاق والتسامح فيه.. ما تعلمه من وقائع التاريخ الشاهد بذلك:

(فقد فتح الله عليكم جميع جزيرة العرب.. ثم فارس والروم: أطحتم بهذه.. وأزلتم تلك..

ثم فزتم بكنوزها حتى صرتم أغنى الناس..)

وإذن.. فأنفق ولا تخشى في ذي العرش إقلالا..

فغداً تكون السعة.. بعد الضيق.. والغنى بعد الفقر..

ومن صور السعة والغنى.. أن تعود إليك مطلقتك

أسس ما تكون قيادا.. بعدما أوسعتك بالأمس عنادا.

●●●

وإذا كان الإنفاق على من لا تباشرها.. عطاء بلا ثمن.. فإنها فرصة للتدريب على «السعة» النفسية.. قبل السعة المالية.. فليتسع صدرك ليتقبل عودتها.. فلعل العود أن يكون حميداً سعيداً.

●●●

أما من قُدِر عليه رزقه.. فضاق عن تغطية كل احتياجاتها.. فلا تثريب عليه.. فقد تصرف في حدود استطاعته.. وما فوق ذلك يكون تكليفاً بما لا يُقدر عليه.

●●●

ولاحظ من بلاغة الآية الكريمة:

أن الله (تعالى) ـ في حال تضييق الرزق ـ يبني الفعل للمجهول هكذا

﴿ ومَن قُدر عليه رزقُه . . ﴾ .

وفي حال العطاء يقول (عز وجل):

﴿ فلْيُنفقْ ممَّا آتاهُ اللَّه . . ﴾

إنه التلطف بالعبد وبخاصة في ساعات الضيق:

ففي حال العطاء . . يظهر الفاعل . .

أما إذا كان الأمر مؤلماً للعبد فـإنه (تعالى) لا يواجه عبده الضعيف . . بما يحزنه . .

وإذا كان ذلك كذلك . . فليعـامل المطلق الزوجة باللطف والإحسان . . ليكون عوناً لها على ريب الزمان .

●●●

ومن تلطفه بها أن يعيد مراجعة الموقف كله . . ليخرج بالتأمل

من الخيال الذي يعيشه . . إلى الواقع الذي يرفض أن يعيشه!

وليحاول إقناع نفسه بأنه مسئول معها عن كل ما انتهى إليه نزاعهما . . وأنّ عليـه أن يكون زوجًـا ناجـحًـا . . قـبل أن يطلب من غـيـره أن يكون كذلك . . وإذا كان يطلب الزوجة المثالية . . فهل هو مثالي؟!

ونتذكر هنا واحدة من تجارب غيرنا .

فقـد تفرغ وزير العـمل في دولة غربية لتـربية طفليـه بعد نجاح عَـشْرِ سنوات في عمله . . وثقة رئيسه به . . وفضَّل في النهاية

أن يكون زوجًا ناجحًا . . على أن يكون سياسيًا لامعًا!

●●●

ثم على الزوج إدراك طبـيعـة المرأة وجوهرها . . مما يعين على الـوفاق بعد الفراق . بمزيد من مشاعر الإشفاق:

هذه الطبيعة التي قال فيها (ﷺ):

«إن النساء خلقن من ضلع أعوج:

وإن أعوج شيء في الضلع : أعلاه:

فإن ذهبت تقيمه.. كسرته..

وإن تركته.. لم يزل أعوج..

فاستمتعوا بهن على عوجهن».

●●●

وكما ظفرت بها إولاً.. فاظفر بها اليوم.. وهي بين يديك..

وقبل أن يظفر بها غيرك.. بعدما تذهب الفرصة.. ثم لا تعود.

●●●

أما بعد:

فقد زعمتم بعض المستشرقين أن الطلاق «طرد» للزوجة خارج البيت.. ولكنه في الحقيقة «إنهاء» لعقد الزوجية. ثم لا يتم إلا بعد محاولات ومداولات تستنفد كل وسائل الإصلاح.. فإن لم يكن صلاح.. فلا جناح.

obeikandl.com

الزوجة.. ومبادرة الصلح

يقول الله (عز وجل) في سورة الطلاق:

﴿ ... وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ... ﴾ [الطلاق: ٧].

بعد أن أرسلت الزوجة إلى زوجها قصيدة أفرغت فيها كل أمانيها..

عاد الطير المهاجر.. عاد الزوج إلى بيته.. مستجيبًا لنداء الزوجة التي وصلت رسالتها العاتبة الغاضبة إلى سويداء قلبه: هذا القلب الذي تفجّر نهرا.. بعد أن كان من قبل حجرًا!

وقد حدث بعد نشر قصيدتها أو رسالتها أن هبت عاصفة من قِبَل بعض النساء اللاتي انحزن لها..

والحمد لله أن هبوب العاصفة كان.. بعد أن عاد الزوج الزوج فعلاً إلى البيت.. فلربما كان حدث ما لا تحمد عقباه لو هبت العاصفة قبل أن يتخذ الزوج قرار العود الحميد.. عنادًا وتحديًا..

●●●

ومن تدبير الله (تعالى) أن وقفت الزوجة العاتبة نفسها تشكر الزميلات المجاملات الغاضبات.. راجية إغلاق ملف القضية.. فقد عادت المياه إلى مجاريها. وهذا ما قالته شعرًا أيضًا:

فتيات مصر تحية أنتن ربّات العزائم
إني أَدِينْ بعطفكن وشكركن عليَّ لازم

●●●

ثم عزَّزت ذلك بقولها:

يا سيداتي الفضليات: لكُنَّ حق الشكر.. دائم..
قد عاد لي زوجي الكريمُ.. وجاء يقرع سِنَّ نادم..
من بعد ما قدَّرتُ أن رجوعه أضغاث حالَم..
والحُرُّ يرجع.. حين يعلم أنه في الحق آثم

●●●

وقلت لصديقي تعليقاً على إعلانها رجوع زوجها.. إنها هي التي رجعت إليه باستعطافها له.. فكانت صاحبة مبادرة الصلح ولا يضيرها أن كانت البادئة بالكلام.. فخيرهما الذي يبدأ بالسلام.. فإذا كان المبدوء هو الزوج.. فأنعم بها مبادرةً للسلام.

لقد وضَّحت الزوجة هنا أبعاد معنى المودة في قوله (تعالى): ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

وعلاقة المودة بين الزوجين تتميز عن غيرها من العلاقات فهي باقية ما بقى الرجل رجلاً.. وبقيت الأنثى أنثى.. كما يقول العارفون المجرّبون.

فطالما بقى إحساس الزوجة بأنوثتها وضعفها قائماً.. فإن جسور التفاهم تظل قائمة على أصولها.. ليعود الصفاء من فوقها إلى قلوب المختلفين.

أمَّا لو ترجَّلت الأنثى.. متمردة على طبيعتها.. فإن هذا الود سوف يخرج.. ثم لا يعود.. وكيف يعود في الوقت الذي يركب كل طرف رأسه زاعماً أن الكل سواء.. ومما يخدش الكرامة أن تبدأ أحبَّاءنا بالكلام!

●●●

إن هذا الود قد «جعلهُ» الله (تعالى).. وما جعله (سبحانه) لا يغيب.

وقد تسألني: لكنه قد يذهب بالطلاق؟

وأقول لك:

إنه لم يذهب بالطلاق. لأن الطلاق هو الضربة الأخيرة التي سقط بها القصر المُنيـف.. ولكن الشربات قبلها مسـئولة عنانهيار البنـيان الشاهق من علٍ.

ومن هذه الضربات السابقـة تجاوزات الزوجين على مدار الأيام: والتي تراكمت حتى صارت من «قشٍّ وطين» ثم صارت عبرة للمعتبرين!

إن «الود» رزق من الله . وعطاء غير مجذوذ.

وإذا كان رزقنا المادي حـاضرًا مصونًا.. وفي السمـاء.. حتى «ندب» لنصل بالدبيب إليـه.. فكذلك «الود».. وهو رزقنـا المعنوي.. حاضـر.. مصون.. لكننا نتصرف مصرِّين أن نمضي بتجاوزاتنا عكس الاتجاه؟!

فكيف نحـصل على مـودتنا.. على رزقـنا.. ونحن بالعناد نسـحب رصيدنا منه وبلا إيداعات جديدة تنمِّيه وتزكيه؟[1].

●●●

لقد أحسَّت الزوجـة الشاعرة أن رفيـقها الغاضب.. قـد أخذته العزة بالإثم.. والحكمة تقول: إذا عز أخوك .. فهن..

واستعطاف الزوجة ليس هوانًا..

فقـد يكون وليد دراسـة ميـدانية.. ظهر با أن الزوج يُـفَضِّل الأوهام تناوشـه.. على الواقع المُعاش فـعـلاً.. فقـررت ألا يفلت الصيـد من بين

(١) قد لا تكون «فـصيلة الدم» متـوافقة مع سـلامتهـا في ذاتها.. فالدم صـالح.. فالود موجود.. لكن «الفصيلة» في الإثنين سالبة.. أو موجبة.. ومن الإبقاء على الود أن يتفرقا ليغني الله كلا من سعته بمن يشاكله؟!

يديهـا . . فصـبت كل أشجـانها على الورق شـعراً . . ردَّه سـالمًا من سكرة الأوهام . .

وقد يسعفها الواقع الماثل بما يفرض عليها أن تبدأه بالكلام :

لقد يكون «عجوزًا» إلا أنه مـغرم بالفتاة الصغيرة زاعمًـا أنه بها ومعها يستـرجع شبابـه الغارب . . وهكذا . . كلما «هَرِمت الأسـنان» تَطلَّب الأمر صغار الحُملان ! !

●●●

ولقد أدركت عِوَج الحاضر وخطورة المستقبل حيث النار تندلع . . والماء ينقطع . ثم راجعت نفسها التي وجدتها :

دجاج : ـ مع الفارق طبعًا ـ

وللدجاجة جناحان . . ولكنها لا تسـتطيع الطيران إلا في مجال الأسرة الجوي ! . وتحت سقف البيت . . وفي ظل رجل تطارحه الهوى . هو زوجها الحلال .

وإذن . . فالشجـاعة الأدبية تفرض عليـها أن تفعل ما تظنـه الزميلات خطأ . . وكانت بمبـادرة الصلح مُبَرأة من الملام . . مُـرَشَّحة بوقائهـا المتصنع الوئام بديلاً للخصام .

لقد كانت كما قالوا الأدباء :

(لا أحد يحاسب صحراء العطش . إذا توحَّمت على قطرةٍ من الماء . .

ولا أحد يحاسب جائعًا . . يحلم بسوق الخبز) .

لا أحد يحاسب زوجة سويَّة ذكية تفرد شراعها في الاتجاه الصحيح . . غير وصغية إلى غضب الغاضبين العازلين . .

فمن كانت يده في النار . . ليس كمن كانت يده في الماء !

والأطفال: لمبتهجون اليوم: هم أطفالها هي..

والزوج العائد العائد هو زوجها هي..

والنار لا تحرق إلا من أمسك بها..

وقد أحرقتها هي وحدها.. نارُ العزلة والاغتراب.. فقررت بالعفو أن تضع حدًا لهذا العذاب.

obeikandl.com

حديث.. مع الشباب

في تحقيق صحفي تقول إحدى الباحثات:

(إن صلة الرجل الفـرد بعـدد من النسـاء من الأمـور التي تبت فـيهـا الأحوال الإجتمـاعية.. فالنسبة ـ في رأي فضـيلة الشيخ الغزالي ـ بين عدد الرجال والنساء.. إما أن تكون متـساوية.. وإما أن تكون راجحة في إحدى الناحيـتين.. فإن كانت مـتساوية.. أو كـان عدد النساء أقل.. فـإن تعدد الزوجات لابد أن يخـتفي من تلقاء نفسـه. وستفرض الطبـيعة ـ ساعـتها ـ توزيعها العادل قسراً!

أما إذا كان عـدد النساء أربى من عدد الرجال.. فـسنكون إزاء واحدة من ثلاث:

١ ـ إما أن نقضي على بعضهن بالحرمان حتى الموت!

٢ ـ وإما أن نبيح اتخاذ الخليلات، ونقرّ جريمة «الزنا»!

٣ ـ وإما أن نسمح بتـعدد الزوجات. ولأن المرأة ـ قبل الرجل ـ فـيما يرى الشيخ الغزالي ـ تأبى حياة الحرمان، وترفض فراش الجريمة والعصيان.. فلم يبق أمـامهـا إلا أن تشرك غـيرها في رجـل يحتـضنها.. وينسب إليـه أبناؤها.. ولا مناص بعـدئذ من الاعـتراف بمبـدأ «التـعدد» الذي صـرح به الإسلام شريطة أن يتحقق العدل.. فإن لم يتحقق العدل.. فلا تعدد هناك.

●●●

قلت ذلك للفتى المتحمس.. والذي وقف ـ يرضي غروره ـ زاعماً أن التعدد هو الأصل..

ولما كان من المحبين للشيخ الغزالي.. فقـد حاولت إفحامه بوجهة نظر

الشيخ الغزالي تلك!

وإذا كان هناك من يرفض التعدد منساقًا وراء هواه، فقد نجد أنفسنا أمام: تفريط.. أو إفراط.. يتقاضيانا الاقتراب من الآية الكريمة.. مستنيرين بما قرره المجربون.. فلعل ذلك مما يحسم القضية أو يكاد:

يقول الله (عز وجل): ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة﴾ [النساء: ١٢٩]

●●●

والآية الكريمة تخاطب الناس جميعاً.. والأزواج منهم بخاصة.. وتشمل شمولاً أولّياً منهم:

أولئك الراغبين في التعدد.. حتى يراجعوا حساباتهم.. التي قد تنتهي بهم إلى صرف النظر عن فكرة «التعدد» إيماناً منهم بأن أحداً لن يجد الراحة عند أحد.. وإنما الراحة هناك عند نفسك الراضية.. وقلبك الوسيع.. ونقترب مرة أخرى من الآية الكريمة متأملين مسترشدين بما قاله الثقات من العارفين: يقول (عز وجل): ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم﴾ [النساء: ١٢٩].

●●●

الآية الكريمة تدل على اهتمام الإسلام بالواقع.. لا واصفاً.. وإنما كاشفاً عن الأسباب.. ثم محاولة علاج الانحرافات.. أما نحن اليوم:

فنحن فقط نحبّر الصفحات عن التعدد وأسبابه.. دون أن نقدم العلاج.. إننا فقط منساقون وراء أهوائنا التي استعبدتنا حين أبعدتنا عن الفهم المصحح.

●●●

يقول المغرضون:

١ـ أباح الإسلام التعدد

٢ـ ثم اشترط فيه العدل.

٣ـ ثم حكم بأنه غير مستطاع؟!

ولكن الصحيح أن يقال:

المطلوب هو: العدل المستطاع وهو:

المساواة في الحقوق والواجبات..

أما عدل القلوب.. فغير مستطاع.

●●●

من آثار التعدد:

إذا كانت الطبيعة من حولنا تنطق بلسان الحال:

إن الورقة تسقط.. وتبقى الشجرة.. لتجدد شبابها في ربيع قابل..

إذا كان هذا هو منطق الطبيعة.. فإنه وفي العلاقات الإنسانية.. يكون الأمر بالعكس:

فبعض الأزواج يرغب في تجديد الفراش منطلقًا من رجولة متسلطة..

أو من فحولة جائرة: يقول:

(إن الحياة قد كلفت الذكر بأن يمد الحياة.. ولذلك جاء قويًا.. أكبر حجمًا.. أقدر على المطاردة. والمنافسة والمشاجرة).

●●●

ففي عالم الأسماك:

نجد الذَّكر هو الأكثر حركة.. والأكثر انطلاقاً.. وهو الذي يتضخم طولاً وعرضاً.. ويطلق أصواتاً وألواناً.. تلفت نظر الأنثى.

obeikandl.com

جوهر المشكلة:

المشكلة في التعدد أن الزوجة الثانية قد تكون هي «الحماة».. أي: زوجة الأب.

وإذا كانت الحماة «الأم» لها غضبتها على من سرقت منها ابنها.. متجاهلة من أخذته بعض الوقت.. لتنجب لها أحفادًا يسعدونها «كل» الوقت.. إذا كان الأمر كذلك.. فكم تكون غيرة.. زوجة الأب.. ممن ينتمي إليها بسبب.. بل ويشارك ولدها من ترائبها ثروة زوجها؟!!

●●●

وما زلت أذكر ذلك الزميل الذواقة.. والذي تزوج الثانية ثم أراد أن يعود إلى زوجته القديمة الأولى فاشترطت عليه أن يتزوج ثالثة ـ !! ـ ليغيظ بها من أغاظتها.. وهي الزوجة الثانية..

وعاد الزوج كزورق محطوم الشراع.. يترنح.. ولا يدري ماذا يفعل!!

●●●

ومع أن «زوجة الأب» شخصية غير مرغوب فيها غالباً.. إلا أن الإسلام يحترمها.. بل ويكرمها حين جعلها فرعاً في شجرة الأسرة.. بل كانت أمًا.. كالأم التي ولَدت.. وذلك بتحريم الزواج منها.. وذلك قوله (تعالى): ﴿وَلا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ [النساء: ٢٢].

●●●

أما بعد:

فـمـا زلت أذكر تلـك الزوجة «الفـلاحـة» والتي سـألتـهـا الباحـثـة الإجتماعية:

كم ساعةً تعملين «مع» زوجك..

فكان ردها الحكيم هو:

أنا لا أعمل معه..

وإنما أنا أساعده..

فالعمل معقود بناصيته.. وإنما فقط أنا عبد المعين!!

وهكذا وبعد عشرات من السنين.. تتنامى مـشاعر الوُد بين رفيقين.. ولا تقـاس علاقتـهمـا بمقيـاس الحسـاب.. وإنما بالود الجامع.. فـوق كل حساب؟

●●●

بعد الزواج:

تعيينُ قائد للأسرة

أ ـ يُرجع إليه عند الاختلاف.

ب ـ ويُستأنس برأيه عند الوفاق.

مُرشحات القيم:

أ ـ مرشح فطري ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾

ب ـ مرشح كسبي: ﴿وَبِمَا أَنفَقُوا﴾ فهو قادر على مخالطة الناس. ثم الكسب وما يتطلبه من معاناة.

●●●

وتبقى الزوجة: مستودع الحنان..

لأنه: بلا حنان.. فلا إنسان!!

ولأجل الحنان.. والمعاناة تستنزف طاقتها.. فلا يبقى لها بالٌ ولا طاقةٌ لإدارة البيت.

فالقيادة للرجل.. وهذه القيادة:

تكليف.. لا تشريف

عطاء .. لا أخذ

رعاية.. لا غنيمة

ومسئولية.. لا تسلط

obeikandl.com

رحلة في قلب مطلقة

يقولون: القاتل مجاهد.. والمقتول شهيد.

بمعنى: أحيانًا يفعل الزوج أكمل ما يليق به كزوج:

يعفو.. ويصفح.. ثم يغفر..

وقد يطول نَفَسه في تطويع الزوجة..

وإذن.. فهو مجاهد..

●●●

والزوجة: قد تفعل ما تلام عليه.. لكنَّ قصدها شريف.. فهي شهيدة!

وقد يتعذر الوفاق.. وإذن. فلا مفر من الطلاق!

فماذا يحدث بعد ذلك؟

لنستمع إلى الأدب يصور بريشته الساحرة تلك الزوجة في بيتها الذي تعتد فيه:

فيم تفكر؟ وكيف؟

والزوج أيضًا.. ما هو إلا حاله.. وما مآله؟

هذا ما خطَّته ريشة الأديب الأريب:

قال:

كان البيت بالأمس مستقرها.. فصار اليوم قبرها!

كيف:

زوجها غير واثق بها..

وكانت سيدة البيت . .

●●●

تناوش زوجَها الظنون . . إنها لو اعتَدَّت في بيته . .
لسوف تهرُب بمتاع البيت!
ثم تفرّ إلى بيت أمها:
تعود ضيفة عزيزة . . مثل أيام زمان؟ . . لا:
فالضيف مدته محدودة . . ثلاثة أيام . . أما هذه فلم يعد لها بيت . .

●●●

وتخدم مرغمة . . تخدُم من؟
أمَّها . أو زوجة أبيها . . أو أخاها .

●●●

وبين الحين والآخر تهب عليها عواصفُ من الأفكار:
كيف حال أولادها الآن؟
ماذا يأكلون؟
وكيف ينامون؟ . . ومن الذي يُغَطيهم عندما ينكشفون؟!
هل أذهب إلى المحكمة لأحتضنهم؟
فإذا عادوا إليها . . فلن تكون سعيدة:
ذلك بأن أولادها: ليسوا أيتامًا . . فيُرحموا . .
ولا ذوي أب . . فَيكفوا .

بداية النهاية:

وتحت وطأة هذه الأفكار المحرقة للأعصاب
تبدأ مرحلة من التفكير الواقعي . . العملي . . هكذا:

obeikandl.com

هل ما أنا فيه من العذاب . . خير . . أم الرُّجعى
إلى زوجي ولو كان مشاكسًا؟!
هل كان لا بد من الطلاق؟!
هل كان ضرورة تفرض نفسها . .
ألم يكن العلاج ممكنًا؟
وبأسلوب آخر غير الطلاق؟
أليست شريكةَ الزوج في المسئولية عما حدث من خلل؟
لقد صار ما فَرَّت منه بالأمس . . لقد صارتْ
ادعاءاتها . . قابلة للنقاش اليوم . . بعدما
ذاقت من عذاب الوحدة .

●●●

ها هي ذي تتحمل مسئوليتها مع أطفالها :
وحيدة . كاسفة البال . تتعلم من التجارب . .
ما لم تكن تعلم . . مدركة حقيقة ما فعلتْ
بصغارها الذين حُرموا من أبيهم . .

●●●

وقد تستوعب الدرس . . في محاولة لإدراك
حجم ما ارتكبته من أخطاء . . واصلة
إلى رغبة أكيدة في عود حميد إلى
عُشها المهجور . .

●●●

ولكنها لا تملك تحقيق أملها :

obeikandi.com

لأن الزمن لا يمضي في صالحها:
فلقد صار ما فرّت إليه اليوم.. أسوأ من الطلاق..
نفسه..

●●●

ثم.. أليس من الجائز أن يتزوج بأخرى.. وعندئذ
ستخسر فرص التفاهم والعودة إلى العش القديم..
بعد وجود هذا الغريم!
والوسواس الخناس موجود لدى الزوج:
وهو.. كما يعِد الإنسان بالفقر.. يعده بزوجة ثانية
تكون أجمل.. وأكمل؟
إنه الشيطان المسئول الأكبر عما أنا فيه..

●●●

لقد كان الامتحان صعبًا..
وذلك عندما يواجه الإنسان نفسه.. والشيطان:
وإذا كيانه يذهب حسرات. بين شقي الرحى:
نفسِه: التي تقوده إلى العصيان..
وشيطانه: الذي يحضه عليه!!
رب يـوم بكـيـت منـه فـلمـــــا

صـــرت في غـــيـره بـكيت عليــه

هل يمكن أن تعود المياه إلى مجاريها؟
إن القرآن الكريم يقول: نعم.

obeikandi.com

لعل الله يُحدثُ بعدَ ذلك أَمْرا ﴾ [الطلاق: ١].

وقد حدث ذلك الأمر فعلاً.. في حياة ناس أعرفهم..

لقد عادت المطلَّقة إلى زوجها الأول..

عادت أكثر اشتياقًا..

وأشدَّ إشفاقًا.. لو أنه رفض..

●●●

والزوج يشرب من نفس الكأس

والزوج هناك.. تركض في خياله أفكار من نفس النوع..

ويستيقظ قلبه على الذكريات الجميلة..

التي تزدحم في وعيه اليوم..

ثم هذه المتاعب التي تأتيه من قبل الأولاد:

الولد الكبير: يسأل عن أمه..

فَيُجرِّئُ الصغير الذي يتمرد.. فيسأل أيضًا عن أمه..

والحل؟.. الحل أن تعود المياه إلى مجاريها

وهذا ما فعله الإسلام:

الإسلام الذي سهَّل أمر الرجعة

أ ـ بلا شهود.

ب ـ بلا ولي.

ج ـ وبدون رضا الزوجة

ويكفي راجعت زوجتي

هكذا بكلمة واحدة.. يعود الصفاء.. والوداد..

ويسعد الأولاد.

obeikandl.com

مغزى هذا التيسير

إنه دليل على أن الإسلام يحب الوفاق ويبغض الطلاق..

إنه لا يكرهه فقط.. وإنما يُبغضه.. وإن كان حلالاً!

●●●

فإذا عادا.. فلا شك أنهما استفادا فوائد تحملهم على الحذر بَعْدُ. ثم الحرص على استدامة العلاقة.. فراراً من أن تعود أيام الهوان الذي كان.

إن المسئول عن الطلاق هو التَّسرّع.. وليس الإسلام

إن المطلق مريض:

أعطاه الطبيب.. أعطاه الإسلام.. أعطاه دواء. ليستعمله على فترات..

فماذا فعل؟

●●●

ألا إن خير الطرَفين هو من بدأ بمبادرة الصلح:

وإذا كان البادئ بالتحية عبر الطريق خير الطرفين..

فكيف بمن يبدأ الكلام بلا ملام مبادرة منه: تجمع الشمل. وتحمي الذرية.. وتصون المجتمع..

وخيركم خيركم لأهله.

نهاية المطاف

بعد هذه التأملات في سورة الطلاق . . تبقى لنا كلمات

لأن الطلاق [أبغض الحلال] إلى الله (تعالى):

فقد وضعت الشريعة ـ طبق خطتها ـ إزاء كل بغيض ـ وضعت ما يمنع وقوعه:

أ ـ قبل الزواج . .

ب ـ وأثناء الزواج . .

ج ـ وعندما تهب العاصفة . .

أما قبل الزواج:

فمن الضروري: معرفة الطرف الآخر بعمق . . حتى لا نفاجأ بما نكره . .

ذلك بأن (بعض الناس يفاجأ بهذا الذي يكره . . لأنه لم ير الأشياء على حقيقتها . . واكتفى بقراءة العنوان].

●●●

وهناك أمور أساسية

لا بد من توفرها

١ ـ الالتقاء على مبدأ . . وخير المبادئ الدين . .

وفي ظله يمكن التعايش.

٢ ـ الميل القلبي . . فراراً من النفور المانع من التكيف.

وهذا بعض ما يفهم من قوله (ﷺ) لرجل:

«أنظر إليها فإنه أحرىٰ أن يؤدم بينكما».

ومعروف أن المـرأة قد تكون جميلة.. ومـحطّ الأنظار.. ولكن قد لا يروق الرجل منها شيءٌ ينفـر منه بطبعه.. وقد يكون في نفـس الوقت مَيْزةً عند غيره.

٣ ـ ضرورةُ سؤال الآخرين..

وعلىٰ المسئول أن يذكر العيوب التي يراها

مقتصدًا.. بعيدًا عن التشهير..

وعلىٰ قدر الحاجة.

٤ ـ وللخاطبة[1] دورها الذي لا يتيسر للرجال:

أ ـ تشم معاطفها.. تأكدًا من رائحتها.

ب ـ ثم ترىٰ كعبها.. فقد تكون نحيفة..

ج ـ السؤال عن أخواتها..

د ـ وللبنت رأي وللثيب رأي..

ولا نكاح إلا بولي

٥ ـ فإذا عزم الأمر كان لا بد من:

أ ـ طائفة من الأمة.. وعلىٰ الأقل شاهدان.

ب ـ الوليمة وإعلان الزواج..

ولماذا الشهود.. ولماذا الإعلان؟

والجواب:

---

(١) روي أنس (رضي الله عنه) قال:

قال رسول الله (ﷺ): وأم سليم تنظر إلىٰ امرأة. فقال: «**شمي عوارضها**».

(الأسنان التي في عرض الفم) وهي: ما بين الثنايا والأضراس. واحدها: عارض.

الالتزام أمام الجمهور بتحمل مسئولية هذا الميثاق الغليظ.
الذي يفرض علينا العمل على استقراره واستمراره..
وإذن:
فإعفاؤها من القيادة ليس إهمالاً.
وإنما هو:
تقدير لظروفها:
رحمة بها
ووضعًا للأمور في نصابها

●●●

وبذلك حسم الإسلام القضية: فلا خوف ولا نزاع.
لا سيما.. وتوجيهات الإسلام تزامل الزوج ضبطًا لخطواته..
مسئوليات القائد
إنك راع.. ومسئول..
اصبر عليها..
لأن فطرتها تختلف عن فطرتك.
فلا تحملها بالعنف على ما تريد.
ولا تتوقع منها ما تريد.
ولا تتصورها كاملة..
فالعاقل لا يرضى عن صفاته هو شخصيًا..
وإن رَضِيَ فهو مغرور مأزور!!
وسوف يصدمه الواقع بما لم يكن يتوقع..
وبما لم يكن يعلم.

obeikandl.com

الإسلام يقف.. إلى جانب.. أضعف الطرفين

هذا الإسلام الذي يقول للزوج:

اصبر عليها وعالج الأمر بحكمة..

أ- لأنهن خلقن من ضلع أعوج..

ب- لا يفرك مؤمن مؤمنة..

ج- خيركم خيركم لأهله..

●●●

قارن بين ما يعجبك.. وما لا يعجبك..

ثم تغاض عما لا يعجبك.. من أجل ما يعجبك!

لماذا؟ ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾

طامِن مِن غرورك.. فلا تظن أنك الحاكم الأوحد.

●●●

وما زلت أذكر ذلك الزميل الذواقة.. والذي تزوج الثانية ثم أراد أن يعود إلى زوجته القديمة الأولى فاشترطت عليه أن يتزوج ثالثة - !! - ليغيظ بها من أغاظتها.. وهي الزوجة الثانية..

وعاد الزوج كزورق محطوم الشراع.. يترنح.. ولا يدري ماذا يفعل!!]

وقد يضخم الزوج العيوب.. ويضائل من المزايا.. إلى الحد الذي يعزُّ فيه الوفاق. وإذن فلا بد من الطلاق بعد ما ذهب السكن.. وذهبت المودة

والرحمة وهنا يقول له الإسلام قبل أن ينطق بكلمة الطلاق استمساكاً بالأمل حتى آخر لحظة:

إن أهداف الزواج متعددة:

فإذا لم يكن حبٌ:

فما كل البيوت بنيت على الحب..

وإنما يبكي على الحب على النساء..

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ..﴾ [النساء: ١٩]

﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

والخير متعدد:

١ ـ الولد الصالح

٢ ـ جمع الشمل وحماية الذرية.

٣ ـ ووعد الله بالإصلاح لابد أن يتحقق يوماً.

ثم ينصحه الإسلام بتفقد أحواله معها: فقد يكون هو المخطئ. فليصلح ما أفسد العطار.. أو مع الله.. فتب إليه.

وقد يكون هناك حاسد أو حاقد.. ينفث في العقد فلتكن أنت وهي.. عليه.. فهو عدوكما المشترك فلا تحققا بالفراق أعز أمانيه.

●●●

زواج المحلل:

ولد ميتاً:

١ ـ فالناس يستوصون بكتمانه.

٢ ـ ليس فيه أهداف الزواج..

٣ ـ ولكن جاء لشيء لم يذكره الحديث الشريف: «تنكح المرأة لأربع..».

٤ ـ وهدفه الوحيدهو:

الرجوع للزوج الأول!!

●●●

المطلقة قبل الدخول

لا عدة عليها:

أما المتوفى عنها زوجها.. فعليها أن تعتد

لماذا؟

في الصورة الأولى:

عداء.. ومغايظة.. وقد يتزوج وتراه هي.. فتحترق..

فلتتزوج ومن الآن!

أما حال الموت:

١ ـ فهو نوع من الوفاء.. كالحداد.

٢ ـ ثم إنها سترثه.

٣ ـ ومعنى المغايظة غير موجود كالصورة الأولى.

●●●

استطراد:

تحد الزوجة على زوجها المتوفي أربعة أشهر وعشرا.. وفاء..

أما على قريبها المتوفى فثلاثة أيام فقط.. لأن لها زوجاً له حقوق في عنقها.. وهذه الحقوق آكد من غيرها.

●●●

obeikandl.com

من ملفات الحرب الباردة!

أخرج «أبو داود» في سننه عن أبي سلمة بن عبـد الرحمن عن فاطمة بنت قيس (رضي الله عنها):

أن أبا عمرو بن حفص.. طلقها البتة وهو غائب:

فأرسل إليها وكيله بشعير. فسخطته. فقال:

والله مالك علينا من شيء.

فجاءت رسول الله (ﷺ). فذكـرت ذلك له. فقال لها: «لـيس لـك عليه نفقة».

فأمرها أن تعتد في بيت «أم شريك».. ثم قال:

«تلك امرأة يغشاها أصحابي.

اعتدي في بيت «ابن أم مكتوم»: فإنه رجل أعمى:

تضعين ثيابك.. فإذا حللت.. فآذنيني»

قالت:

فلما حللت.. ذكرت له أن معاوية بن أبى سفيان وأبا جهم خطباني. فقال:

«أما أبو جهم: فلا يضع عصاه عن عاتقه..

وأما معاوية: فصعلوك: لا مال له..

انكحي أسامة بن زيد». قالت: فكرهته.. ثم قال «انكحي أسامة بن زيد» فنكحته..

فجعل الله فيه خيراً اغتبطت به).

تمهيد:

ونقصـد «بالحرب الباردة» هنا مـا يدور بين الزوجين من اختلاف . . بعـدما كان بينهما من الائتلاف:

لقد كـان طائر الود محلقًا في جـو السماء. . وكـان البيت ذلك النبع الرائق الدافق. .

وبعـد ذلك. . هبط الطائر المحلق. . وجف النبع بعـد مـا كان عـذبًا فراتًا. .

(كان الزوج ذلك الملاح الذي كان يقول لزوجته:

أنا ذلك البحّـار: أنفق عـمـره

في البحث عن حب، وعن أحباب

حـتى رأيتك قـطعـة من جـوهر

تـرتـاح بـين الـنـخـل والأعـنـاب

●●●

وترتفع حرارة العواطف في قلب من عاش كل صور الحسن:

لكن حـسنك لم يكـن بحسـابي

ماذا سأكـتب عنك في كتب الهوى

فـهـواك لا يكفـيه ألف كـتـاب؟!

ويزيد في وفاق الزوجين. . ذلـك البيت الهادئ الوادع. . العـامر بمثل هذه المناجاة التي تجعل منه مملكة جامعة مانع. .

وها هو ذا . . يتـرنح تحت ضربات الأحـداث. . لقد كان البيت ولا

يزال لونًا من الأمـومة منذ التـجأ إلـيه الإنسـان ليحـتمي به من العـواصف والخلاء. . ثم رآه يدفع عنه عوارض الطبيعة. ويدفع عنه البرد والحر فتعلق، به، أكثر.

البيت هو الحمى. . هو زغب الطائر).

كتبْ الرسام «فيلكفيلد» عندما كان يعيش حياة هادئة في الريف.

(السعـادة التي أشعر بهـا وأنا جالس أمام النار، بينمـا تهدر العاصـفة غاضبة في الخارج، هي هناءة حيوانية خالصة. .

فالفأر في جـحره، والأرنب في وجاره، والأبقار في الحظـائر، تشعر دون شك بالرضا ذاته الذي أشعر به).

ولكن إذا تجاوزنـا ـ هذا اللون (الساذج) من السـعادة ـ التي يتـحدث عنها «فيلكفيلد» في لحظة دفء أقول:

إن البيت ذاتية. . إنه خاص بصاحبه وحده. . ومسرح لذوقه وأفكاره.

والبيت سيادة فهو ملك لصاحبه وحده، يفعل، به، وفيه، ما يشاء. . وهو حرم له لا يقتحمه آخر عليه، إلا بإذنه في عصور الأمان. .

وجاءت الأديان فـأكدت هنا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ...﴾ [النور: ٢٧].

والآية الكريمة ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا...﴾ [البقرة: ١٨٩].

البيت حرم. . وحبيب مهما صغر أو تواضع: إنه كالأم إنها أعز إنسان كما هي، لا تقارن بغيرها.

●●●

أجل. . كان البيت هذا مرتعًا مُمرعًا. .

وإذا بالشيطان المريد: من الجن والإنس يضرب ضربته القاضية. .

وإذا بالزوجة وفي ساعة العسرة يتغير في ناظريها كل شيء فصارت غريبة في وطنها ؟! الذي صار في حسها بلادًا بعيدة:

(يا بلادي البعيدة: حيث تبكي السماء..

حيث لا يقرأ الناس إلا جريدة!).

●●●

يا بلادي التي لست فيها.. يا بلادي الوحيدة..

أيها الرمل والنخل والجدول.. أيها الكوخ والسنبل..

يا بلادي التي لست فيها.. يا بلادي الطريدة..

ليس لي منك إلا شراع المسافر..

راية مزقتها الحناجر.. والنجوم الشريدة..]

●●●

إنها تندب حظها العاثر. إن الناس من حولها يتعاملون بالجفاء..

لكن وفاءها كان هو الوفاء..

(لقد كانت هينة لينة:

تعين أهلها على العيش.. ولا تعين العيش على أهلها).

●●●

وقد يهون الخطب في حس الزوجة التي تستعد للرحيل..

ولكن الذي لا يهون هو: شماتة الأعداء:

أمــرُّ عـلى ناس فـأسـمع شـامـتًـا
يمزق فـي عـرضي.. وآخـر يشـفع
وقـد سـاء ظنـي في العـباد جـمـيـعـهم
فأجـمعت أمـري في العـداء.. وأجـمـعوا

وعندئذ يتفاقم الموقف.. وإذا بالأمر على ما يقول الشاعر:

أرى تحت الـرمـــاد ومـــيـض نار ويوشـك أن يكـون له ضـــــرام!

●●●

هكذا تقول تجربتنا اليومية، بما فيها من وفاق وشقاق..

ولكن «فاطمة بنت قيس» ترينا اليوم من نفسها كرامة وعزة.. ترفض شهوة الانتقام.. على رغم أن زوجها «بتَّهـا» قطعها: أخرجها من حياته.. وفي غربته.. ولم ينتظر حتى يعود فلعله أن يمسك.. فلا يطلق. ولقد كان من حكمتها تجنب المهاترة والمكاثرة..

وبدل أن تبدد أعصابها فيما لا يجدي.. أخذت الخطوة العملية.. في الاتجاه الصحيح. فطالبت بحقها.. منطلقة من قاعدة تقول:

أحيانًا.. لا يكفي الحب وحده بين الزوجين.. فلا بد من أن يبحر كل طرف في أعماق الآخر ليستوعب ما فيها من أسرار نحاول التكيف معها.. ثم لنفصل حياتنا على قدها..